جمهورية مصر العربية	**٤ من ذي القعدة ١٤٣٨هـ**
وزارة الأوقاف	**٢٨ من يوليو ٢٠١٧م**

(١)

المسئولية المجتمعية والإنسانية

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد :

فقد حدد الحق سبحانه وتعالى للإنسان مهمة عظيمة بجانب مهمة العبادة ، وهي مهمة إعمار هذا الكون ، قال تعالى:{هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}أي: طلب منكم عمارتها وإصلاحها، والنظر فيما أودع فيها من خيرات وما قدر فيها من أقوات.

وإن الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحده منقطعًا في صحراء ، أو منعزلاً في كهف ، بل يعيش مع غيره في مجتمع متماسك البنيان ، يتأثر به ويؤثر فيه ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}؛ فإقامة الحياة وإنشاء الحضارة والعمران يتطلب التعايش والتعاون بين الناس ؛ لذا كان لابد من نشر قيم المسئولية المجتمعية التي يتحقق بها مبدأ إعمار الكون الذي دعا إليه الإسلام .

فالمسئولية مبدأ إسلامي أصيل ، يتربى عليه المؤمن من خلال معرفته بدينه حق المعرفة ، فيدرك الإنسان ماله من حقوق وما عليه من واجبات ، فيلتزم بالوفاء بها، فيصبح إيجابيًّا في مجتمعه نافعًا لوطنه ، لا يعتدي على حقوق الآخرين ، ولا يمنعه أحدٌ شيئًا من حقه .

وما من لحظة من لحظات حياة الإنسان إلا وتتجسد فيها قيمة المسئولية بكل

صورها ، سواء أكانت مسئولية فردية أم مجتمعية ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ، فبين الحديث الشريف أن المسئولية في الإسلام تمتاز بالشمولية ، فتعم كل أفراد المجتمع .

والمسئولية في الإسلام نوعان ، مسئولية فردية معني بها الأفراد ، وهناك مسئولية مجتمعية وإنسانية معني بها المجتمع كله ، فالمسئولية الفردية تعني: أن يكون الإنسان مسئولاً عن نفسه وجوارحه وبدنه ، وعقله ، وعلمه وعمله وأسرته، وعباداته ومعاملاته ومسئولياته ، فإن أحسن ووفَّى بحقها أمام الله (عز وجل) وأمام نفسه ومجتمعه تحقق له الثواب ، ونال الأجر والعطاء ، وإن أساء وفرط في هذه المسئولية فقد باء بنفسه إلى الخسران المبين ، والعذاب الأليم ، وإلى هذه المسئولية أشار (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ).

ومن لوازم المسئولية الفردية أن يكون الإنسان عفيف اللسان ، طاهر اليد ، مأمون الجانب مع كل البشر ؛ قال (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ).

أما المسئولية المجتمعية والإنسانية فتعني: قيام الجميع أفرادًا ومؤسسات بواجباتهم تجاه أوطانهم ومجتمعاتهم ، والمحافظة على ثروات المجتمع ، والعمل على تنميتها ، ونشر قيم الأمن والأمان والسلامة والطمأنينة والمواطنة القائمة على

العدل والإنصاف والتسامح الديني ، ونشر ثقافة التعايش السلمي ، وغير ذلك بما يحقق نهضة الأمة والمجتمع والبشرية كلها.

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة تحث على القيام بواجب المسئولية المجتمعية ، فهذا مؤمن آل ياسين يقوم بواجبه تجاه قومه بالنصيحة والموعظة الحسنة دون انتظار أجر أو مقابل ، قال تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}.

وتقوم المسئولية المجتمعية على أساس فروض الكفايات التي إن قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين ، وإن لم يقم بها أحد أثم الجميع ؛ لأن فرض الكفاية لا يتعلق بشخص بعينه ، بل يتعلق بجميع أفراد المجتمع ، فإطعام الجائع ، وكساء العاري ، ومداوة المريض ، وإغاثة الملهوف ، وتعليم الجاهل كل ذلك يدخل في فروض الكفايات ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى :{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

والمسئولية المجتمعية لها الدور الأكبر في تحقيق التوازن المطلوب في المجتمع والمسئولية الإنسانية هي السبيل الأسمى لتقوية الروابط والعلاقات الإنسانية بين البشر ، ومن صورها :

تعليم الجاهل ، ورفع الأمية بكل صورها : التعليمية ، والثقافية ، والدينية ، فكل صاحب قلم وفكر ، وكل عالم ومثقف ، وكل صاحب منبر دعوي وإعلامي مسئول عن رفع الجهل ، وحماية الأمن الفكري لأفراد المجتمع ، فالجميع في سفينة واحدة ، ولكي تصل إلى برِّ الأمان لابد من تكاتف الجميع وإلا هلكوا جميعًا .

ومن صورها – أيضًا – : تحقيق كفاية الوطن في طعامه وشرابه وكسائه ودوائه ، وتوفير سلاحه وعتاده ، وتحقيق القوة في جميع المجالات العلمية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والإنتاجية ، يقول تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ }، ولم يحدد الله تعالى نوع هذه القوة ، فهي شاملة لكل قوة تصلح الأمة ، سواء كانت قوة روحية، أم علمية ، أم جسدية ، أم اقتصادية ، أم عسكرية ، أم غير ذلك.

ومن صور المسئولية المجتمعية والإنسانية : قضاء حوائج المحتاجين ، ورعاية اليتامى والمساكين ، وعلاج المرضى ، وبذل الجهد لإغاثة الملهوفين والمنكوبين ، وإزالة الكرب عن المكروبين ، حتى لا يجوع فقير ، ولا يضيع يتيم ، ولا يحتاج مسكين.

ومن صورها : تقويم السلوك المعوجّ ، انطلاقا من قوله تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}، وامتثالاً للتوجيه النبوي في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (مَن رَأى مِنكُم مُنكَرَاً فَليُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطعْ فَبِقَلبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَانِ) ، فالتغيير باليد يكون للسلطان ، وباللسان للعلماء ، وبالقلب لعامة الناس – ؛ لأن المجرم إذا استشعر أن المجتمع كله سيكون لافظًا له ، رافضًا لسلوكه ، متجنبًا التعامل معه ، فإنه سيراجع نفسه ألف مرة ومرة قبل أن يقدم على عمل إجرامي ، وإما إذا استشعر عكس ذلك

فإنه سيتمادى في إجرامه ، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد ، أم على مستوى الدول.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

من صور المسئولية المجتمعية والإنسانية : قيام التاجر بواجبه تجاه وطنه ، فلا يغش ولا يحتكر ، ولا يفعل ما من شأنه استغلال حاجة الناس ، ومن النماذج التي ينبغي أن يقتدى بها في المشاركة المجتمعية وتحمل المسئولية تجاه المجتمع ، ما فعله سيدنا عثمان بن عفان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، حيث اشترى بِئْرَ رُومَةَ لحاجة المسلمين إليه ، ثم أوقفه عليهم ، ولذا أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء ، وكذلك قيام كل من العامل ، والصانع ، والطبيب والمهندس ، والمعلم ، ورجل الأعمال بواجبهم تجاه وطنهم ، وكذلك قيام الأغنياء بواجبهم تجاه الفقراء والمحتاجين ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ).

كذلك من صور المسئولية المجتمعية : حفظ الأمن واستقرار الوطن كل في موقعه وميدانه ، سواء بالحفاظ على أمنه واستقراره ، أم بالعمل على تقدمه ورخائه وتحقيق كفايته في جميع جوانب الحياة.

إن قيام الإنسان بواجبات مسئوليته تجاه مجتمعه عبادة يتوجه بها إلى الله تعالى قبل كل شيء ، فهي صورة من صور الأمانة التي أمر بها الشرع الشريف ، وحذر من خطر خيانتها أو الاخلال بها ، حتى تسوده روح الألفة والمودة ، والرحمة والتعاون ، والتكاتف والتكافل وغيرها من القيم الخلقية والإنسانية التي تحقق الخير للفرد والمجتمع ، وهذا من صفات المجتمع المسلم ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.

والإخلال بالمسئولية يُزعزِعُ القِيَم الأخلاقيَّة، وينشُر السلبيَّة ، مما يُؤدِّي إلى حالاتٍ من الاحتِقانِ والحِقدِ والتوتُّر والإحباط واليأسِ من الإصلاح ، ويضعُفُ الولاء الصادق للأمة وللدولة ، ويُهدِّدُ الترابُط الأخلاقي ، وقِيَم المُجتمع الحميدة المُستقرَّة، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّة، حتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم، وهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوه، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِك، عذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ).

ولنعلم أنه ما ضاعت أمة ولا هلك مجتمع إلا حينما تغافل الناس وتركوا مبدأ القيام بالمسئوليات المجتمعية ، وتعالت فيهم نزعات النقيصة والأنانية ، وقد قالوا ما استحق أن يولد من عاش لنفسه ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (خير الناس أنفعهم للناس).

نسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى ، وأن يؤمننا في أوطاننا ويحفظ بلادنا من كل سوء ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.